عاشوا ومانوا ولم تجد الامراض اليهم سبيلاً ولكن ما كل الاذكياء كذلك فكم ذكي عاش ومات وبدنه مباءة للامراض والاوصاب . واكثر الاذكياء مصاب بداء يمرر الحياة ويجلب السوداء وهو عسر الهضم . وقد رأى بعضهم ان يرد جميع الادواء التي تصيب الاذكياء الى هذا الداء العياء . هذا من جهة صحة الجسم اما من جهة قوة الارادة فالمشهور ان في الاذكياء هوًى يدفعهم الى العمل دفعًا يكاد يكون خارجًا عن سلطان الارادة حتى قال اللورد بيكنسفيلد الشهير "ان المصنف من يندفع قسرًا الى الخوض في اعوص مسائل العلم او الى الركوب على اعلى اجنحة الخيال" ولذلك تجد الاذكياء ينظرون الى الاعمال التي علوها ولا يصدقون انها من عملهم . فاذا بلغ الذكاء هذا الحد من القوة والارادة هذا الحد من الضعف فلا يبعد ان يتوغل الانسان في اجهاد قوى عقله حتى تكلّ وتختلّ او ان يتطوّح في ارتكاب الجرائم وليس له من ارادته رادع قوي فيتلطّخ بجماتها . او يتبع ميله الطبيعي ولا يهتم بالسعي والاحتيال لكسب المعيشة فيعد عيًا ويعيش فقيرًا

ولكن لا مشاحّة ان الاذكياء هم قادة العقول وروّاد الحضارة مهما تكن عيوبهم . وانهم وان كانوا عرضة لآفات كثيرة فما ذلك الاّ لانهم يركبون اخشن المراكب واشدها خطرًا ويسيرون في مقدمة ابناء زمانهم ويتلقون المخاطر عنهم بانفسهم . وهم لا يُبرّرون اذا ارتكبوا محرّمًا ولكن لا يُحتقرون اذا افرطوا في اشغالهم او اذا اسكرتهم خمرة الاشغال العقلية عن حطام هذه الدنيا . ويستفاد من هذا البيان انه يجب مساعدة الاذكياء وهم صغار السن على تقوية ابدانهم وارادتهم وترسيخ المبادىء الادبية في نفوسهم حتى لا يفرّطوا في قوامٍ ولا يأتوا منكرًا

الحرب

(تابع ما قبله)

فتبسّم كريسس وقال ومن يتلوهُ في السعادة قال ها اخوان من أرغوس كانا من ذوي اليسار وشديدي البأس وانتصرا في الالعاب (اليونانية) على الاقران وكانا محبين احدهما للآخر حبًا شديدًا بارّين بوالدتهما فجرّاها في مركبة مسافة (ستة اميال) حيث لم يتيسّر لها ثيران لتجر المركبة حتى اتيا بها الى الهيكل لتحجّ فطلبت الى آلهة الهيكل ان تمنح ابنيها اعظم بركة تمنحها للبشر وكانا نائمين في الهيكل فاتا في مكانهما دلالةً على ان الآلهة تفضّل الموت على الحياة . فاقام لهما الشعب تمثالين في دلفي

فاختنق كريسُس بقول صولون وقال ما كنت احسب انك تستهين بسعادتي حتى تفضّل عليها سعادة اناسٍ مثل الذين ذكرت . قال صولون لا يحسَب الانسان سعيدًا حتى يبلغ أجلهُ فربَّ رجلٍ من اغنى الناس يفقد مالهُ قبل مماتهِ فيمسي اشدّ الناس شقاء وبؤسًا . فلم يرُق كلامهُ لكريسُس فصرفهُ دون ان يعطيهُ شيئًا ولم يعُد يرى وجههُ بعد ذلك

وكان لكريسُس ابن فريد في جمالهِ وشجاعتهِ وبراعتهِ في الصيد اسمهُ اتيس فحلم ابوهُ ليلةً ان ابنهُ طُعِن بالرمح ومات فخاف ان يتمّ حلمهُ فمنعهُ من الخروج للحرب والصيد والقنص وأمر ان لا يبقوا في طريقهِ رماحًا ولا حرابًا وزوّجهُ بفتاة جميلة من عنبلات قومها أملاً بان تلهيهُ عن الصيد والخروج للحرب والجلاد . واتفق ان خنزيرًا برّيًا كبير الجثّة نزل من الجبال على حقول ميسيا وكرومها وعاث فيها ولم يستطع اهلها ان يقتلوهُ فتوسّلوا الى كريسُس ان يرسل ابنهُ لقتلهِ فأبى ولكن ابنهُ ألحّ عليهِ بالخروج لقتال الخنزير قائلاً ان الخنزير لا يستطيع الطعن بالرماح فلماذا تخاف منهُ عليّ . وكان الملك قد اجار رجلاً فريجيًا فوكّلهُ بابنهِ ليدفع عنهُ النكبات

فخرج ابن الملك والفريجي في نخبة من صيّادي ليديا بكلابهم ورماحهم فلما اصابوا الخنزير جعلوا يرمونهُ بالرماح فأصاب رمح الفريجي ابن الملك فقتلهُ . وبلغ اباهُ خبر قتلهِ فاكثر من البكاء والعويل وتذكّر قول صولون . ثم اقبل الصيّادون يحملون جثة ابنهِ والفريجي يقرع صدرهُ ويطلب الى الملك ان يقتلهُ فداءهُ فأبى الملك . ثم ان الفريجي صبر حتى دفن ابن الملك وانتحر على قبرهِ . وتاج الملك على ابنهِ سنتين كاملتين

وبعد زمان طلب كريسُس محاربة كورش فأرسل يستشير الكهّان وقال لرسلهِ اسألوا كاهن هيكل دلفي بعد خروجكم من هنا بمئة يوم وقولوا ما الذي يفعلهُ الملك في هذا اليوم فسألوهُ . فأجابهم "اني اعرف عدد الرمل وكيل البحر وافهم افكار الابكم واسمع كلام الاعجم . رائحة السلحفاة المسلوقة في المرجل مع لحم الخملان قد وصلت اليّ" . قيل وكان كريسُس يسلق في ذلك اليوم خملاً وسلحفاة في مرجلٍ من نحاس . فلما بلغهُ جواب كاهن دلفي قال انهُ اصدق الكهّان فأهدى الهيكل من ثمين الهدايا شيئًا كثيرًا وسأل هل احارب الفرس فقال "اذا حاربت كريسُس الفرس فانك تخرب مملكة عظيمة" فظنّ كريسُس ان المملكة العظيمة هي مملكة الفرس ولم يدرِ انها مملكتهُ فاعتمد على كلام الكهّان المبهم وجيّش على الفرس فقال لهُ رجل حكيم من رعيتهِ ايها الملك انك خارج لمحاربة قوم يلبسون الجلود ويسكنون القفار فاذا غلبتهم لم تربح منهم واذا غلبوك خسرت مالك ومملكتك فلم يسمع لنصيحتهِ وكان من امرهِ ما كان فتحقّق قول صولون بعد طول الزمان

فهذا تفصيل موقعة ساردس بين كورش ملك الفرس وكريسُس ملك ليديا واما موقعة

كمبيز مع المصريين فتفصيلها ان كمبيز بن كورش ملك فارس احتشد جيشًا جرّارًا يزيد على ثماني مئة الف مقاتل ووجههُ من بلادهِ اقسامًا على بلاد مصر في شهر آذار وتوجّه معهُ في حاشيتهِ ايضًا فاتى الجيش بادية الشام في شهرين من الزمان وكان رجالهُ قد استمالوا قبائل العرب التي هنالك فوافتهم بالماء على ظهور الخيول والجمال وخفّفت عنهم عذاب الظمإ في تلك الرمال . وما زالوا سائرين حتى وصلوا برّ مصر قبل فيضان النيل بشهر ونزلوا في سهل بلوزيوم وهي مدينة لا تزال خرائبها باقية الى يومنا بالقرب من تنا في الشمال الشرقي من برّ مصر وكان الفراعنة قد بنوها هنالك وبنوا فيها قلعة حصينة لصدّ الجيوش التي تهاجمهم من تلك الجهة

ولما سمع بسمتخوس فرعون مصر بقدوم الفرس عليهِ احتشد جيشًا جرّارًا من المشاة والفرسان والمركبات يبلغ عددهُ اكثر من ستّ مئة الف مقاتل . منها ثلاثون الفًا من متطوّعة اليونان وخمسون الفًا من الليبيين والاحباش وعشرون الفًا من الفرسان واربعماية الف وعشرة آلاف من المشاة المصريين وما بقي من الابطال الذين يحاربون في المركبات . وقام في ذلك الجيش الى سهل بلوزيوم المذكور وجعل المدينة حصنهُ عن اليمين

وامر كمبيز قومهُ فشرعوا من ساعتهم في استئصال ما هنالك من الاشجار والانجم ورفع ما تراكم من الادغاص وكثبان الرمال حتى لا تعترض في طريق الابطال ولا تصدّ المركبات عن الجري بمناجلها المحددة لتقطيع الرجال . وبات جيش الفرس تلك الليلة تحت السلاح خوفًا من ان يبيّتهم العدوّ وهم غير متحصّنين

وفي الصباح اصطفّ الجيشان للقتال وكان كمبيز في وسط جيشهِ متوليًا قيادة فرقتهِ الخاصّة من الجيش وفي فرقة الخالدين والحرس الملكي . اما الخالدون فكانوا عشرة آلاف بطل منتخب من احسن ابطال المملكة اذا مات بطل منهم خلف اخيهِ او في ساحة القتال انتُخِب آخر مكانهُ فلا يزيد عددهم ولا يقلّ ولذلك سُمّوا بالخالدين . وكان الحرس الملكي كلهُ بالدروع الذهبية فوقها الحلل الارجوانية وعلى رؤوسهم القلانس الطويلة وعلى جوانبهم السيوف الصقيلة في الاغماد الذهبية المرصعة بالحجارة الكريمة وفي ايديهم الرماح المزينة بنفائس من الذهب والفضة . واتفق قوّاد الفرس على ان الملك يقاتل في مقدمة الخالدين واخاهُ بنصرهُ بالف فارس من الحرس الملكي وفرقة من الفرسان المثقلين بالدروع والزرد . وكريسُس ملك ليديا السابق ذكرهُ يحمي المحلّة بفرقة من الجيش ويصون ما بها من الاموال والذخائر ونساء الاشراف وام الملك واختهُ . وكان الفرس قد استأجروا جيشًا من اليونان فنسبوهُ قسمين ووضعوا قسمًا منهما عن يمين الجيش تحت قيادة فانس اليوناني والقسم الآخر عن يسار الجيش تحت قيادة ارستوماخوس الاسبرطي .

واما المصريون فكان ملكهم بسمتوس في وسط جيشه ايضاً متولّياً قيادة المركبات في مركبة ذهبيّة سيور خيلها من الذهب وعددها من الارجوان وعلى رؤوسها ريش النعام ووراءهُ الراكبون المركبات البديعة الزخارف والنقوش من سراة المملكة لابسين ابهى الحُلَل وافخرها وخيولهم من كرام الخيول وعُدَدها من اثمن العدد وبايديهم الحراب والقسي والنبال وسائق مركباتهم حاملون الترس امامهم ليتقوا بها السهام عنهم . واصطفّ اليونان المستأجرون في جيش المصريين عن يسار المركبات واصطفّت المشاة والاحباش ستة صفوف احدها وراء الآخر عن يمين اليونان ويسار المركبات . وكانوا مقسومين الى فرق وجماعات تحت رايات مختلفة الاشكال والالوان مسلّحين باسلحة مختلفة كما مرّ في وصف اسلحتهم فمنهم مَن كان مسلّحاً بالحراب والخناجر والتروس الكبيرة ومنهم مَن كان مسلحاً بالسيف او القأس والترس الصغير ومنهم مَن كان سلاحهُ المقلاع واكثرهم كانوا رماةً بالقسي لا تروس لهم . ووقف الفرسان وقوّادهم واعمدتهم وصوالجهم في ايديهم على جانبي الجيش عن يمين الفرسان ويسارهم

ولما تقابل الجيشان ولم يبقَ بينهما الاّ مرمى السهام صاح ملك المصريين في جيشه يحثّهم على الثبات والكفاح واطلق سهمهُ على جنود الاعداء علامة ابتداء القتال . فحمل جيش المصريين ولقيهُ جيش الفرس واشتبك الجيشان في طول البيداء وعرضها وعلا الصياح وثار الغبار وارتجّت الارض تحت اقدام الف الف واربعماية الف مقاتل بخيولهم ومركباتهم . ولعبت سوْرة القتال في رؤوس اليونان فقاتلوا مستقتلين وانقضّ بعضهم على بعض انقضاض الشواهين . ووجّه المصريون معظم قوّتهم على الخالدين طمعاً في تهزيمهم واستئسار كمبز ملكهم فحميت نار الوغى على كمبز وتكاثر الاالوف على فرقته فتساقطوا تحت السيوف افواجاً وما انتصف النهار حتى اوشك الباقون منهم ان يولّوا الادبار وكاد النصر يترجّح للمصريين لولا ثبات كمبز وعلوّ هيبته وقدوم اخيه بالحرس والفرسان لنجدته فعادت الحميّة الى الفرس واعتزّت نفوسهم وكبرت بعد ما ذلّت وصغرت فحملوا على المصريين حملة عنيفة واشتدّ بين الجيشين الالتحام والطعن والرمي وضرب الحسام حتى رويت الارض من دم الفرسان ولبست حلّة من الارجوان . وفعل اليونان العجائب في ذلك اليوم وعلَتْ مهابتهم . واغار فرسان الفرس بشجاعتهم المشهورة فاخترقوا صفوف الاعداء وبدّدوا مواكبهم فما دنت الشمس من المغيب الاّ وقد دارت الدائرة على المصريين وانحاز النصر الى اعدائهم بعد ما ترجح لهم . وأبى الفرس الاّ دوام الكفاح بعد حلول الظلام حتى انحلّت عزائم المصريين وايقنوا بالضعف والاخذلان فثبتوا الى ان طلع البدر ثم اركنوا الى الفرار وتبدّدوا في عرض البيداء وجدّ الفرس في اثرهم وادارو سيوفهم فيهم فمزّقوهم

كل ممزّق فمنهم مَن قُتِل ومنهم مَن ارتطم في السباخ فمات ومَن غرق في النيل وأُسر بيد الاعداء والباقون فرّوا الى بلادهم ذاهبين كل مذهب

وقاتل ملك مصر قتال مَن يئس من الحياة وبقي طول نهاره يحرّض المقاتلين ويشدّد الخائفين ويردُّ الهاربين ولم يترك ساحة القتال حتى رأى جيشهُ قد انهزم وتبدّد فاطلق لخيولهِ العنان وكانت من كرام الخيل فسارت بمركبتهِ تنهب الارض وتبعهُ من اعوانهِ بضعة الوف فعبر بهم النيل واتى مدينة ممفيس حيث حصرهُ كمبيز وكان من امرهِ معهُ واستيلائهِ على مصر ما كان كما هو مقرّر في التواريخ. وانجلت المعركة عن عشرين الف قتيل من الفرس وخمسين الفًا من المصريين عدا مَن هلك في السباخ والنيل ومَن جُرِح في القتال ولا يعلم عددهم الاَّ الله

اما اليونان فاقدم ما يُعرَف عن نظامهم وسلاحهم وقتالهم مذكور في نظم اومِرُس شاعر اليونان الشهير. وكلامهُ عليهِ غير وافٍ من وجوهٍ شتّى ولكنهُ يفيد ان جنود اليونان كان اكثرهم مشاةً وكان قوّادهم يحاربون إمّا مشاةً او في المركبات ويفتتحون القتال غالبًا بالمبارزة ويتبارزون في المعارك قائدًا لقائد او بتلاحمون. وسلاح ابطالهم القدماء كان سيفًا طويلاً ذا حدّين نصلهُ من النحاس (البرونز) ومقبضهُ وغمدهُ محلّيان بالذهب والفضة. ورمحًا وقوسًا وسهامًا. فالرماح والقسيّ للحرب عن بعد والسيوف للضرب عند التلاحم. هذا سلاحهم الهجومي واما سلاحهم الدفاعي فكان كلهُ من النحاس وهو خوذةٌ ودرعٌ وترسٌ وجرموقان فاما الخوذة فكانت بلا مغفرة مزينة بالريش من اعلاها واما الدرع فمن النحاس المزخرف بالذهب واما الترس فمستدير او يضيُّ الشكل عليهِ الازرار الحدّبة او الحَلَق المتراكزة ويصل من العنق الى الكاحل. واما الجرموقان فمن النحاس او من الخليط اللدن ويغطى بهما الساقان الى اخمص القدم

هذا في زمان ابطال اليونان المعروف بالزمان الخرافي واما في الزمان التاريخي فغيّروا اسلحتهم لموافقة اصطفاف جنودهم فجعلوا رماحهم اطول واثقل وتروسهم اصغر تستر الرجل من الكتف الى الركبة وزادوا على الخوذة مغفرة لتقنع الوجه والعنق والجبهة. وفي حروب البلبونيسوس استبدلوا الدروع المعدنية بالدروع الكتانية التي كانت شائعة عند المصريين والاشوريين وغيرهم وصغّروا التروس وطوّلوا السيوف. هذا في الجنود الثقيلة السلاح واما الخفيفة السلاح فكانت تحمل المزاريق والفرسان كان سلاحهم الدفاعي كسلاح المشاة وسلاحهم الهجومي سيفًا طويلاً ومزراقًا وخنجرًا قصيرًا. قال بعضهم اذا شئت ان تعرف سلاح اليوناني قديمًا فتصوّر رجلاً لبس على رأسهِ خوذةً وعلى بدنهِ درعًا ذات شطرين شطر لوقاية صدرهِ وشطر لوقاية ظهرهِ وعلى رجليهِ جرموقين لوقايتهما وتقلّد على جنبهِ سيفًا بنجاد معلق بكتفهِ وحمل ترسهُ واعتقل رمحهُ

واشهر اليونان اهل اثينا واهل سبرطه واهل ثيبت او طيبة . فامّا اهل اثينا فكانت شريعتهم توجب على الحرّ منهم الانتظام في سلك الجندية ولا تستثني الاّ جباة الخراج والمخبين في بعض المرابح وقليلين آخرين . وكان التجنّد بعدُ عندهم انعاماً وامتيازاً فيبتغيه العبد بعمل في الحلب والصر ونحو ذلك من الاعمال كان الحرُّ يتمرّن على الالعاب الحربيّة ومنازلة الابطال . ومتى ادرك الفتى السنة الثامنة عشرة من عمره يدوّن اسمه بين الجنود فيقضي السنتين الأوليين في المحافظة على وطنه ويبقى عشرين سنة بعد ذلك مستعدًّا للذهاب في كل مهمّة ترسله حكومته فيها . وجنودهم كانت فرساناً ومشاة فالفرسان من ابناء البلاد وسُراتها وكان ركوب الخيل من امتيازاتهم . والمشاة على ثلث رُتب الثقيلي السلاح ويعرفون عندهم "بالهلتاي" يحملون الرماح والخناجر والتروس الكبيرة وهم احرار من اهل اتيكا . والخفيفي السلاح ويعرفون عندهم "بالپلتاي" يحملون الحراب واسلحة أخرى دفاعية صغيرة وليس لهم تروس واكثرهم عبيد يسيرون في خدمة موالهم الاحرار . وغير المنظمين ويعرفون عندهم "بالغمناي" يحملون المزاريق والقسي والنبال والمقاليع ولا سلاح دفاعي لهم . وهم عبيد او غرباء عن أتيكا . وكان يتوسّط بين الرتبة الاولى والثانية فرقة أخرى تعرف عندهم "بالپلتستاي" نسبة الى "البلتا" وهي ترس خفيف كان لا يحملهُ غيرهم

وكان لجيش اثينا ولجيوش اليونان والمكدونيين جميعًا قاعدة واحدة للنظام وهي ما يُعرَف عندهم "بالفالنكس" وهو مَصفٌّ للجنود . فاهل اثينا كانوا يؤلّفون هذا المصف من ثمانية صفوف احدها وراء الآخر على مسافة ست اقدام منهُ عند المشي او التعليم وثلاث اقدام عند الهجوم وقدم ونصف عند الدفاع . والعدة في كل مصفّ الجنود الثقيلة السلاح فمنهم يتألّف وتهم تحفُّ بقيّة الجنود والفرسان فيقف الجنود الخفيفو السلاح في مقدمتهم ويرمون العدو بسهامهم ومزاريقهم حتى يلتحم الجيشان فيرجعوا الى الوراء او الى الجانبين ويخوض الثقيلو السلاح المعمعة ينصرهم الفرسان وسائر الجنود . ولذلك كان كل جيش يقدّر بعدد الجنود الثقيلي السلاح ولا يلتفت الى غيرهم ولو كانوا يساوونهم عددًا او يزيدون . وعدد الجنود في كل مصف يختلف ما بين الفين واربعة آلاف وعدد المصاف في كل جيش يختلف ايضًا حسب مقتضى الحال

واما اهل سبرطه فاوصافهم الحربيّة تفوق اوصاف غيرهم من اليونان وسبب ذلك شريعة ليكورغوس التي كان جلُّ القصد من سنّها لهم تربيتهم على الثبات والاحتمال والشجاعة في القتال وانماء قواهم البدنية والادبيّة الى حدّ ما يستطاع . فكان السبرطي يربى منذ نعومة اظفاره على حفظ النظام والطاعة التامّة والثبات الكامل والاستخفاف بالخاطر وعدم الشكي . ويتمرّن بالالعاب والرياضة على تكبُّد المتاعب ومعاناة الشدائد . ويُلزم بالانتظام في الجندية كالاثيني

ولكن يدوّن اسمهُ في السنة العشرين ويبقى الى السنة السبعين من عمرهِ ويقضي كل ذلك الزمان تحت نظام اصرم من نظام الاثينيين كانهُ عائش برأسهِ من العدو في ساحة القتال. وكانت الحرب للسبرطي زمان راحةٍ لانهُ يحارب مصحوبًا بعبيدهِ ومركباتهِ ودوابّهِ والسلم زمان تعبٍ ومشقّةٍ لانهُ يقضي فيهِ كل حاجاتهِ بنفسهِ

وكان اصطلاح السبرطيين في "الفالنكس" اي مصف جنودهم يضاهي اصطلاح الاثينيين في اكثر الامور الاّ ان مصف السبرطيين كان اشدّ لزًّا وازدحامًا اذ كانوا أميل الى الدفاع من الاثينيين. فالاثيني لمّا كان احدّ طبعًا واشدّ خفّةً واعظم اقدامًا واكثر جرأةً كان أميل الى الهجوم واما السبرطي فلما كان يعوّد من صغرهِ على الصبر والثبات والطاعة والاحتمال كان اكثر تأنّيًا وابرد طبعًا واشدّ ميلاً الى الدفاع. ولذلك كانت مصاف الاثينيين تهجم في المعارك الشهيرة عَدْوًا على الاعداء واما مصاف السبرطيين فتتقدّم بالتأني والحزم

واما اهل ثيبت فاشتهروا في محاربتهم للسبرطيين وانتصارهم عليهم تمام الانتصار تحت قيادة ابامينُنداس بطلهم الشهير حين غيّروا ترتيب الفالنكس فضيقوا وجههُ وزادوا عمقهُ فجعلوهُ خمسين صفًّا احدهما وراء الآخر بحيث صار المصف كالعمود الطويل اذا هجم على العدو في نقطة كسرهُ فيها وهزمهُ بزخمهِ وعنف هجومهِ كما يحدث اذا صدم مقدمُ السفينة الثقيلة وسط السفينة الخفيفة. كذا كان حين هجم مصفُّ الثيبيين على مصف السبرطيين فكسرهُ وهزمهُ. ولم يكن لليونان جيوش ثابتة كجيوش هذه الايام بل كانوا يقتصرون على الحامية والشرطة للمحافظة على البلاد. وجيوشهم التي فعلت العجائب في حروبها كانت تحشد حين انتشاب الحرب وتطلق بعدها الاّ انها لكثرة ما شهدت من الحروب والمواقع صارت كالجيوش الثابتة المنظّمة ولم يكن فرق بين السبرطيين وجنود هذه الايام من هذا القبيل الاّ بان السبرطيين يخدمون بلا ارزاق وجنود هذه الايام تجرى عليهم ارزاقهم من الدولة حال انتظامهم في خدمتها. واشتهر اليونان بالبسالة والشجاعة وحسن المحاربة حتى صارت اعظم الدول تودّ استخدامهم في جيوشها فتستأجرهم بالمال كما فعل المصريون والفرس على ما تقدّم

ولم يذلّ اليونان الاّ جيش مكدونيّة في ايام ملكها فيلبس ابي ذي القرنين. والمكدونيون في الاصل قوم شجعان يعيشون بالصيد والقنص ورعاية المواشي ولكنهم لخشونة حالهم وقلّة عددهم لم يكن لهم شأن يُذكر قبل تملك فيلبس المذكور عليهم. وكان فيلبس من اشهر الناس في صفاتهِ الحربيّة بعيد النظر في عواقب الامور كثير الحيل لنوال مآربهِ لا يراعي شرفًا في قضاء حاجتهِ. فما استتبّ لهُ الملك حتى سعى في محاربة الاثينيين واخذ بأسهم وبطشهم فعلم انهُ لا يقدر على

فهم الا بجنود اقوى من جيشهم وان ذلك لا يتم بكثرة الاحتشاد بل بانشاء جيش ثابت يبقى دوماً تحت السلاح ويتمرّن على اساليب الحرب والكفاح فجمع جيشاً علّم كل ما يتعلق بجنود اليونان ونظّمه احسن تنظيم حتى فاق جيوش اليونان في ذلك. وقرن فيلبس قوته هذه بالحكمة والسياسة والدهاء فاذلّ اليونان ونال مبتغاه منهم ثم عزم على محاربة الفرس ولكن فاجأته المنية قبل نوال مبتغاه. وخلفه ابنه الاسكندر ذو القرنين وكان اشدّ منه بأساً واعظم طمعاً. فادّب الثراكيين في السنة الاولى من ملكه واخمد ثورة اليونان بهاجمة مدينة ثيبت واخرابها واستعباد ثلثين الف نسمة من اهلها عدا النساء والاطفال. فدان اليونان بطاعته وسلموا له قيادة جنودهم المتحالفة في كورنثوس. وفي السنة التالية عبر الهلّسبنت المعروف اليوم ببوغاز الدردنيل وسار في مقدمة خمسة وثلثين الف مقاتل لاخضاع المسكونة ففتح فتوحاته الشهيرة حتى بلغ بها بلاد الهند وانشأ سلطنة لم يسبق لها مثيل في العظمة وربما لم يخلقها مثيل. وكان هذا الجيش مؤلفاً من مشاة وفرسان فالمشاة نحو ثلاثين الفاً والفرسان ما بقي وكان منهم اثنا عشر الفاً مكدونيين وخمسة آلاف مأجورين والباقون كانوا يونانيين ومحالفين. وابقى الاسكندر وراءه قوّاداً للاحتشاد فكانوا يمدّونه بالجنود حتى انه لما حارب الفرس في موقعة أربيلا كان عدد جيشه ستين الف مقاتل

واتقن الاسكندر نظام الفالنكس حتى ابلغه غايته من الاحكام والاتقان. فجعله على نوعين صغير يتألف من ٤٠٩٦ جندياً من الثقيلي السلاح ونحوهم عدداً من سائر رتب الجند والفرسان وكبير يتألف من اربعة صغار او ١٦٣٨٤ جندياً من الثقيلي السلاح ونحوهم عدداً من التوابع. وألّف الفالنكس الصغير من ستة عشر صفّاً في كل صف ستة عشر مقاتلاً عدا ما يتبعه من الفرسان والجنود الخفيفة السلاح واصحاب التروس الخفيفة المعروفين "بالپلتستاي" كما تقدّم. واستعار هذا النظام على نظام سائر اليونان لانه كان امتن منه واشدّ احكاماً ويقبل التقسيم الى حدّ لا يقبله نظامهم فاذا اراد تضييق وجهه وزيادة طوله ضاعف عدد صفوفه بتنصيف عدد الانفار في كل صف واذا اراد تعريض وجهه عرضه بتقليل عدد الصفوف. وكان الجنود يصطفّون في هذا المصف مزدحمين بحيث يمسّ ترس الجندي ترسَ رفيقه فتكون اتراسهم سوراً منيعاً في وجوه الاعداء. ويحملون رماحاً طولها من احدى وعشرين الى اربع وعشرين قدماً بحيث تبرز سنها اسنّة رماح الستة الصفوف الاولى عن الصف الاوّل بعضها كثيراً وبعضها قليلاً حسب موقع صفها فيبدو للناظر كأن الفني شجر غاب ملتف تنهب اسنتها المهج والاكباد. فلا عجب ان لم تستطع جيوش الفرس لقاء هذه المصاف التي لا يخترق السلاح تروسها ولا تطيق الابدان رماحها. هذا نظام اليونان وسلاحهم وسيأتي معنا ذكر اشهر مواقعهم في الجزء التالي